

"الخيطة المثلث" ليأثير شيلغ

قراءة فلسطينية في كتاب عن الصهيونية الدينية

يأثير شيلغ

الخيطة المثلث: تاريخ مختصر للصهيونية الدينية

موديعين: كينيرت-زمورا، 2024

224 صفحة (بالعبرية)

قراءة: علي مواسي، فلسطين

مدخل

تشكّل الصهيونية الدينية أحد أبرز التيارات التي أسهمت في إعادة صياغة المجتمع "الإسرائيلي" منذ ما قبل قيام الكيان السياسي الدولي للحركة الصهيونية، "إسرائيل"، المعلن عن قيامه في العام 1948، وحتى اللحظة الراهنة. وإذا كان الباحثون قد اعتادوا النظر إلى هذا التيار إما من زاوية تاريخية-فقهية تحصرها في قراءة فكر الحاخام أبراهام يتسحاق كوك، أو من زاوية سوسيولوجية-سياسية تركّز على حضورها المؤسسي بعد حرب 1967 وصعود حركة "غوش إيمونيم"، فإن كتاب يائير شيلغ الخيطة المثلث: تاريخ مختصر للصهيونية الدينية (2024) يأتي ليعيد تركيب الصورة عبر مقاربة مزدوجة: تاريخية-سوسيولوجية من جهة، وصحافية-سرديّة من جهة ثانية.

لا تكمن خصوصية الكتاب في محاولته تقديم سيرة مختصرة لتيار متشعّب فقط، بل اقتراحه إطاراً مفهوماً جديداً لفهمه، هو الخيطة المثلث المكوّن من ثلاثة أقطاب، هي: الدين، والقومية، والليبرالية. ينطلق شيلغ من فرضية أن الصهيونية الدينية ليست كتلة متجانسة، بل حقل تتجاذبه توترات متغيرة تُعاد صياغتها عند كل منعطف تاريخي. لا يكتفي الكتاب بوصف المحطات المفصلية (1902، 1948، 1967، 1977، 1993-1995، 2005)، بل يسعى إلى تفسير الكيفية التي جعلت هذه المحطات تساهم في تغيير موازين القوى بين الأضلاع الثلاثة للمثلث. وعلى الرغم من أن المؤلف يقدّم عمله في لغة سهلة القراءة وموجّهة لجمهور واسع، فإن رهانه المعرفي يكمن في قدرته على جعل "المرونة" و"التوتر" مفاتيح قراءة، بدلاً من فرضية "الانسجام الداخلي" التي طالما رُوّج لها الخطاب الديني-القومي التقليدي، وعلى رأسه الصهيونية الدينية.

تأتي هذه القراءة لتقدّم نظرة نقدية في كتاب شيلغ، من موقع المستعمر، مستفيدة من مواد متنوعة، منها: مقالات نقدية ومراجعات للكتاب، ودراسات إحصائية محدثة عن المجتمع "الإسرائيلي" (2023-2025)، بالإضافة إلى الاستئناس بمقالات ومقدمات كتب منشورة لياثير شيلغ، وكذلك مقابلات معه حول الكتاب.

المؤلف

ياثير شليغ (Yair Sheleg) هو صحفي وباحث "إسرائيلي" في قضايا الدين والمجتمع، عُرف أساساً من خلال عمله سنوات طويلة في صحيفة هآرتس مراسلاً للشؤون الدينية، ثم في مَكور ريشون، حيث عمّق متابعته للحقل الديني-القومي. التحق لاحقاً بمؤسسات بحثية مثل "المعهد الإسرائيلي للديمقراطية" و"معهد هارتمان"، حيث ركّز على قضايا العلاقة بين الدين والدولة والتحوّلات داخل الصهيونية الدينية. إلى جانب هذا الكتاب، سبق له أن حرّر مجلداً أكاديمياً بعنوان: **من الهامش إلى المركز: الصهيونية الدينية والمجتمع الإسرائيلي** (2019)، ضمّ دراسات في مجالات التعليم، والجيش، والإعلام، والدين، والمواطنة.

تجعل هذه الخلفية المزدوجة، الصحافة والبحث المؤسسي، من مؤلف الكتاب صوتاً يجمع بين الوصف الميداني والسرد ذي الملامح السوسولوجية، دون أن يلتزم التزاماً صارماً بالمعايير الأكاديمية، وهذا ما يفسّر الطابع الهجين للكتاب، إذ إنه: نصّ معرفي-تحليلي موجّه لجمهور عام، وفي الوقت نفسه محاولة لطرح إطار نظري جديد.

وصف الكتاب

صدر كتاب **الخيطة المثلث: تاريخ مختصر للصهيونية الدينية** في العام 2024 بالعبرية، ويتألف من مقدمة، وثلاثة عشر فصلاً مرتبة ترتيباً زمنياً سببياً-موضوعياً، وخاتمة. تحدّد المقدمة الإطار المفاهيمي وتعرّف استعارة "الخيطة المثلث" بديلاً عن المثلث التقليدي في خطاب الصهيونية الدينية (شعب/ تورا/ أرض). وتعالج الفصول مسيرة التيار منذ بداياته مع الحاخامين رينس وكوك وحركة "المزراحي" (Hamzrahi، وتعني الشرقي)، مروراً بالإعلان عن قيام "إسرائيل" في العام 1948، وحرب العام 1967، فصعود "غوش إيمونيم" (Gosh Emonim، وتعني كتلة المؤمنين)، واتفاقيات أوسلو، واغتيال إسحاق رابين، وصولاً إلى ما يُعرّف بـ"فك الارتباط عن غزة" وتنامي حضور تيارَي الحردلية والليبرالية. أما الخاتمة فتدعو إلى الاعتراف بتركيب التيار وتعقيده بدل التشبّث بخطاب "الانسجام الداخلي".

يعتمد الكتاب، من الناحية المنهجية، على السرد التاريخي المتداخل مع تحليل يستفيد من النظرة السوسولوجية للأحداث، متكلّناً على قصص مفصلية (مثل رسالة بن غوريون للحاخامية قبل 1948، أو خطاب الحاخام تسفي يهودا كوك قبل حرب 1967)، لتوضيح التحوّلات الطارئة على الصهيونية الدينية.

المثلث

يبني شيلغ أطروحته المركزية على أن الصهيونية الدينية ليست تياراً متجانساً، بل حقلاً تتجاذبه ثلاثة أقطاب: الدين، والقومية، والليبرالية. هذا "المثلث" لا يعمل بوصفه معادلة ثابتة، بل شبكة تؤثرات يُعاد توزيعها عند كل منعطف تاريخي تواجهه الصهيونية. إن ما يجعل استعارة "الخيطة المثلث" فاعلة على نحو قوي في الظاهر، أنها تقدم إطاراً مرناً قادراً على استيعاب التناقضات: تارة يتقدم الدين في لحظة صعود الاستيطان، وتارة تتغلب القومية عند الحاجة إلى الانضباط المؤسسي، وتارة تُستدعى الليبرالية لإظهار انفتاح ثقافي، وهي مواقع تتحدد عبر ديناميكيات بنائية شديدة التداخل. غير أن هذه الاستعارة ذاتها تكشف محدودية الطرح، فهي تحصر التحليل في قلب البنية "الإسرائيلية" وتتعامل مع الفلسطينيين، الطبقة الأحدث من العروبة-الإسلام في الجنوب الغربي لبلاد الشام، بوصفهم خارجاً لا ضرورة لذكره، وكأن الأرض مسرح بلا أصحاب، وهو محو تقليدي في الممارسات الخطابية للصهيونية سنفصل فيه لاحقاً.

منذ القرن التاسع عشر، برز تسفي هيرش كاليشر (1874-1759) ويهوذا القلعي (1878-1798) في تقديم تصوّر ديني للهجرة والعمل الزراعي باعتبارهما تحقيقاً للوعد الإلهي. ومع إسحاق يعقوب رينس (1915-1839) تحوّل الدين إلى خطاب براغماتي يبرّر المشاركة في المشروع الصهيوني حمايةً لليهودية من "الانقراض"، حتى لو كانت علمانية المشروع شديدة التناقض مع الدين في المستوى الظاهر. أما الحاخام أبراهام يتسحاق كوك (1865-1935)، فقد بلور صيغة لاهوتية جعلت الدولة الصهيونية الناشئة تجلياً للخلاص الموعود. في هذه الأمثلة، يتّضح أن الدين لم يبقَ عنصراً ثابتاً، بل أعيد تفسيره تبعاً للسياق السياسي-الاجتماعي.

بُعید حرب الاستحواذ على فلسطين في العام 1948، بدت الغلبة للقومية عبر ترتيبات "الوضع القائم" (status quo) التي حدّدت السبب وقضايا الأحوال الشخصية جوانب دينية رسمية، بينما كُرّست هوية الدولة "يهودية" أولاً. ثم جاءت حرب العام 1967 لتعيد صياغة العلاقة: الانتصار العسكري قرّئ علامةً إلهية خلاصية، والأرض المحتلة تحوّلت إلى نصّ مقدّس، ما جعل القومية وعاءً يتقدّس بالدين. هذه النقلة تفسر صعود "غوش إيمونيم" حركة ترى في الاستيطان واجباً روحياً قبل أن يكون خياراً سياسياً، وبذلك فإن القومية أدّت دوراً تعريفاً للدين على نحو دائم. هكذا تُدَيّن السياسة وتُسيّس المقدّس.

أما الليبرالية، فهي عند شيلغ الضلع الثالث الأقل وزناً، لكنها تُستدعى لإظهار مرونة التيار، فهي التي سمحت بانخراط الشباب الديني-القومي في الجامعات، وبتوسّع مشاركتهم في مجالات الأدب والفنون، وبانفتاح نسبي في قضايا النوع الاجتماعي. لكنّ هذه الليبرالية تبقى داخلية، تعمل دليلاً على التعددية في الفضاء اليهودي، دون أن تمتد إلى غير اليهود، وتحديداً الفلسطينيين، أو إلى إعادة تعريف الدولة تعريفاً ليبرالياً جوهرياً. بهذا تكون الليبرالية أداة شرعية، غطاءً لتطبيع الصهيونية الديني في موقعها الجديد، موقع النخبة، ولا سيّما في نظر ما يُسمى "المجتمع الدولي".

قد يبدو هذا "المثلث" عدسة قراءة موضوعية، إلا أن فحصاً لمواد إعمال هذه العدسة تكشف عن جهاز معرفي هاجسه إعادة إنتاج الهيمنة وترتيب أوراقها حفاظاً عليها. لقد انعكس تبدل موازين المثلث عملياً على الأرض بإعادة صياغة مستمرة للاستعمار الاستيطاني، مثلاً عبر مصادرة أراضي وهدم قرى ومدن كاملة منعاً لسكانها من العودة إليها بعد حرب العام 1948، وتكثيف للاستيطان بعد حرب العام 1967، وحصار شامل في غزة منذ العام 2006 حتى بدء الإبادة فيها في العام 2023.

الصدمة

يقدم شيلغ مفهوم "الصدمة" أداة لقراءة مسار الصهيونية الدينية، فالأحداث لا تُعرض بصفاتها تاريخياً متصلاً فحسب، بل عُقدت تعيد صياغة هوية التيار وتوازناته الداخلية: حرب 1948 "تسوية"، وحرب 1967 "معجزة"، وانتخابات 1977 "شراكة"، واتفاقيات أوسلو 1993 واغتيال رابين 1995 "اختبار"، والانسحاب من غزة 2005 "جرح".

يرى شيلغ أن قيام الدولة "الإسرائيلية" شكّل صدمة مزدوجة: من جهة، تحقّق الحلم القومي، ومن جهة أخرى، فشل التيار الديني في فرض دولة شريعة، حيث اضطر إلى قبول تسوية "الوضع القائم" التي أبرمها دافيد بن غوريون مع الحاخامية. يقتبس المؤلف من رسالة بن غوريون: "نلتزم باحترام السبب في المجال العام، والمحافظة على قوانين الكشروت، وترك مسائل الأحوال الشخصية تحت ولاية الحاخامية". هذه الصياغة البيروقراطية تُقدّم بوصفها "صفقة تأسيسية" ضمنت للدينيين موطن قدم، محققة ما يسميه مؤلف الكتاب "توازناً" داخلياً، إلا أنه مُنّبئ في لحظة من الحسم الإحلالي، ليغدو مفهوم "الوضع القائم" قناعاً إدارياً يغطي عنف التطهير العرقي الكامن في هذه "الصفقة".

أما حرب العام 1967، المعروفة بـ "حرب الأيام الستة"، فإنها تُروى في الكتاب معجزةً من منظور الصهيونية الدينية، إذ أعادت الدين إلى مركز المثلث. ينقل شيلغ خطاب الحاخام تسفي يهودا كوك (1891-1982) عشية الحرب: "كيف نحتفل بعيد الاستقلال وأجزاء من أرض إسرائيل ليست بين أيدينا؟" وبعد أسابيع قليلة، عُدّ هذا الكلام نبوءة تحققت بالانتصار العسكري.

يرى شيلغ في صعود حزب الليكود إلى الحكم نقطة انفتاح جعلت الصهيونية الدينية شريكاً رئيسياً، حيث النخبة الخادمة الجديدة، على حدّ تعبيره، وَجَدَتْ طريقها إلى مؤسسات الدولة، وتدفقت الموارد إلى التعليم الديني والمستوطنات. وهو توقّعت لم يعد معه الاستيطان في الأراضي المحتلة منذ العام 1967 حركة شعبية، بل مشروعاً رسمياً وسياسة دولة معلنة.

يذهب شيلغ إلى أن اتفاقيات أوسلو (1993) وما تبعها من اغتيال إسحاق رابين (1995) تمثّل لحظة انقسام داخلي، حيث: قدّم جزء من التيار الصهيوني-الديني الولاء للدولة ولو على حساب الأرض، فيما تمسك آخرون

بقداستها. وقد صوّر الاغتيال زلزلاً أخلاقياً كشف حدود الخطاب الديني-القومي، لكنّ السرد يجعل "أوسلو" مجرد مسألة يهودية داخلية، في حين كانت على الأرض إعادة تقسيم للفضاء الفلسطيني وترتيباً للسيطرة بأدوات جديدة. اللغة تحول هذه المرحلة المركزية، وهي الثالثة من الاحتلال والإحلال [الأولى في نظري تتمثل بالاحتلال البريطاني لفلسطين في العام 1917]، إلى ملف إداري، حيث يبدأ "المسار السياسي" و"عملية السلام".

يُعرض الانسحاب من قطاع غزة، المعروف بـ "خطة فك الارتباط" (2005)، بصفته أزمة وجودية للصهيونية الدينية، فهو جرح أعاد التّيار لملته سريعاً ليغدو أقوى. هنا يجعل السرد غزة مجرد مسرح لاختبار إيمانيّ، وتؤدّي اللغة عبر تعبيرات مثل "الانسحاب" و"الاختبار" دورها في التغطية على مأساة إنسانية، حيث حصار شامل ودمار اقتصادي وحرمان وسجن لمئات الآلاف.

الصدمة(ات)، بناءً على ما تقدم، لا تُستثمر للمساءلة، بل لإعادة التكيّف وتجديد الشرعية، ولإدامة المشروع الاستعماري عبر تحويل العنف إلى فرصة خلاصية جديدة، كما أن التاريخ يُقدّم بوصفه سلسلة توترات داخلية كافية لتفسير كل شيء.

النخبة الخادمة

وُصِفَت الصهيونية الدينية حتى أواخر عقد السبعينيات من القرن الماضي، بأنها تيّار صغير يعمل في هوامش المشروع الصهيوني العلماني، إلا أن مسار العقود الأخيرة كشف تحولاً جوهرياً، إذ انتقل التيّار تدريجياً من الهامش إلى قلب المؤسسة وبنى النظام الرئيسية، ليغدو "النخبة الخادمة" كما يرى شيلغ وآخرون، تلك المجموعة التي لا تقود المجتمع وحدها، لكنّها تتمتع بصفة الركيزة التي لا غنى عنها في أجهزة الدولة المختلفة، العميقة وغير العميقة، خصوصاً الجيش والتربية والتعليم والقضاء والإعلام.

يشير الكتاب إلى أن انتخابات الكنيست التاسعة في العام 1977 شكّلت نقطة الانعطاف الأهم على هذا المستوى، حيث تمكّن الليكود بقيادة مناحيم بيغن (1913-1992) من الحصول على 40 مقعداً وتشكيل الحكومة، ما فتح الأبواب أمام الصهيونية الدينية للاندماج في أجهزة الدولة. فلم يعد حضورها في المجال السياسي مقتصرًا على جمعيات أو حركات شعبية، بل بات مؤسسياً وبيروقراطياً، تتدفّق نحوه الموارد وتُبنى له مؤسسات تعليمية مستقلة وشبكات استيطانية مموّلة، والصهيونية الدينية شريك لا مجرد مؤيد ورافد.

أما في الجيش، فقد تحوّلت الأكاديميات الدينية (Hesder) إلى حاضنة لإعداد ضباط دينيين-قوميين، حتى غدت الصهيونية الدينية أكثريةً في بعض الوحدات القتالية، الأمر الذي منحها قوة رمزية مزدوجة، قوامها: المشاركة في الدفاع عن الدولة عسكرياً، والسيطرة التدريجية على جهازها الأمني. وفي ميدان التعليم، تضاعف نفوذ المدارس الدينية القومية، ومعه برز جيل جديد من المعلمين والمثقفين أعاد صياغة الهوية القومية

بمفردات دينية. كما نشأت في الإعلام منصات وصحف ناطقة باسم التيار، بعضها انتقل من هوامش الخطاب إلى موقع مركزي في تشكيل الرأي العام "الإسرائيلي".

إن وصف شبلغ هذه المرحلة بأنها "ترشح طبيعي" يخفي طبيعتها البنيوية، فالاندماج لم يكن ثمرة عمل داخلي فقط لدى تيار الصهيونية الدينية، بل نتيجة لإعادة توزيع السلطة داخل الدولة بعد انهيار هيمنة حزب العمل ومظهراته التنظيمية. أي أن الصهيونية الدينية لم تصبح "نخبة خادمة" لأنها "استحققت" ذلك فحسب، بل لأن النظام احتاج إلى دمجها ليحافظ على شرعيته ويضمن استمراره في ظل تراجع قوى وتيارات أخرى. هنا يتضح كيف يظل التيار مشدوداً إلى النظام، يتغذى منه ويغذيه، كما يعيد إنتاج سلطته في الوقت نفسه. "النخبة الخادمة" ليست قيادة مستقلة، فهي لا تهيمن وحدها، إنما تضمن استمرار المنظومة عبر تقديم طاقاتها البشرية وأطرها المؤسسية في خدمة الدولة وأجهزتها.

تستبطن الصهيونية الدينية بذلك منطقاً مزدوجاً، خطاباً طليعياً يرى نفسه "رأس حربة" خلاصية، وممارسة مؤسسية تجعلها جزءاً عضواً من السلطة ومظهراتها. إن هذا التناقض بين الطليعة والنخبة الخادمة هو ما يفسر استمرار توترها، فهي في موقع القوة والنفوذ، لكنها تواصل التصرف كما لو كانت مضطهدة، محتفظة بخطابها الطهراني الذي يمنحها شرعية إضافية لدى جمهورها.

إن قراءة هذا التحول تكشف أن الصهيونية الدينية لم تعد "هامشاً" منذ عقود، بل باتت أحد أعمدة النظام "الإسرائيلي" العميق، غير أن خطاب الكتاب يعمد إلى تلطيف هذا الواقع عبر استعارة "الخدمة"، التي تجعل من السيطرة المؤسسية عملية "عطاء" لا "تغلغل" و"هيمنة"، ومن المشاركة في الحكم "واجباً أخلاقياً" لا "مشروعاً سلطوياً".

اللّبرلة

تتجلّى الصهيونية الدينية في الحيز الاجتماعي-الثقافي أيضاً، إلى جانب حضورها في المؤسسات الرسمية، حيث تتحوّل الهوية الدينية-القومية إلى عمران يومي، إلى علامات محسوسة تعيد تشكيل الزمان-المكان. يولي شبلغ في كتابه اهتماماً بهذه الأبعاد بوصفها مسرحاً مكملاً للسياسة ومشتغلاً معها، إذ يرى أن الهوية لا تُبنى في الكنيسة أو الجيش فقط، بل في المدارس، والمعابد، والأحياء السكنية، واللغة، والثقافة الشعبية، والفنون والآداب، وغيرها.

إن أحد أبرز تجليات هذا البعد يتمثل في حقل التعليم. فالمدارس الدينية القومية ليست مجرد مؤسسات تربوية، بل مصانع لإنتاج هوية جماعية قادرة على الدمج بين الطابع الديني والانتماء الوطني، وبين الالتزام بالشرعية والانفتاح النسبي على العلوم الحديثة. في هذا السياق، تطوّر المناهج الدراسية النصوص الدينية

لخدمة قيم قومية، وتعيد إنتاج صورة "اليهودي المقاتل-العابد"، الذي يجد في الجيش والجامعة امتداداً طبيعياً لمساره المدرسي. هنا تبرز وظيفة الليبرالية الداخلية: انفتاح مدروس يتيح للطلاب دخول الحقول الحديثة دون المساس بالبنية القيمية العامة.

في المجال الثقافي الأوسع، يسجل الكتاب صعود إنتاج فني وأدبي يعبر عن التيار الديني-القومي، سواء في الموسيقى أو السينما أو الأدب. ما كان يُنظر إليه سابقاً بصفته تناقضاً بين "التقوى" و"الفن" أصبح اليوم مجالاً لإبداع يسوغ شرعيته دينياً بوصفه خدمة للهوية القومية، غير أن هذا الإبداع يبقى محصوراً غالباً في الفضاء اليهودي الداخلي، ونادراً ما يتقاطع مع الثقافات العربية أو العالمية إلا في حدود تزيينية أو تبادلية غير عميقة عموماً.

تبرز الصهيونية الدينية كذلك حضورها في المدينة المختلطة، أي تلك المدن التي يعيش فيها اليهود والعرب نجة النكبة. يلاحظ شيلغ أن هذه المدن أصبحت ساحات تؤثر بارزة: فبينما يسعى التيار الديني-القومي إلى ترسيخ وجوده عبر مدارس ومؤسسات دينية، يشعر الفلسطينيون المجنسون "إسرائيلياً" بأنهم في موقع مهدد بالتهجير الزاحف أو الإقصاء الرمزي. إن ما يسميه المؤلف "توسعاً طبيعياً" في الحيز الحضري هو في الحقيقة إعادة تشكيل عنيفة للمدينة، تحوّلها إلى فضاء ذي طابع يهودي ديني وقومي متزايد، مع آثار مباشرة على المجال العام، من اللافئات والرموز إلى أنماط اللباس والاستهلاك، وغير ذلك.

يكشف الفضاء الاجتماعي-الثقافي عن آلية موازية لآلية الصدمة: فبينما تعمل الصدمة على إعادة ترتيب المثلث عبر أحداث كبرى، يشتغل الفضاء اليومي على تثبيت هذه الترتيبات في العادات والتقاليد والبنية العمرانية. إنّه الدفق الهادئ للاستعمار: تحويل الفضاء العام إلى امتداد للهوية الدينية-القومية، وإعادة تعريف "المدينة المشتركة" بحيث تُدار وفق قيم الأغلبية الصاعدة، ولو على حساب سكّانها الفلسطينيين الأصليين أو مكوّناتها المتنوعة، محوّلاً أو تهميشاً أو استطباقاً، أو غير ذلك.

بلاغة الهيمنة

إن إحدى السمات الأكثر لفتاً في كتاب شيلغ هي مادة الخطاب التي يعتمد عليها لتأطير الصهيونية الدينية، أي منظومة الاستعارات والمصطلحات تعبر عن جهاز معرفي ينظم المعنى ويعيد تعريف الواقع وترتيبه، حيث اللغة تستبطن العنف والهيمنة وتشرعنهما، ولا تقف أبداً عندهما، كأنهما طبيعيتان وعاديتان جداً، بل تغدو الممارسة الاستعمارية مشروعاً أخلاقياً ذا بعد خلاصي. هنا يكون التساؤل: هل هذا قصدي أم أنه مذوّت لدى الكاتب، نموذجاً للمثقف "الإسرائيلي" التقليدي، إلى درجة عدم الانتباه إليه؟ في المحصلة، النتيجة واحدة لكلا الأمرين، ويمكن اختصارها بلفظ "الاستبداد" وما ينجم عنه ويرتبط به من دلالات ومدلولات.

الاستعارة المركزية هي "الخيوط المثلث" الذي يوجي بالتماسك والمرونة في آنٍ معاً. الخيط يوجي بالترابط، لكنّه أيضاً هشّ، قابل للشدّ والانقطاع. وبهذا المعنى، تقدّم الاستعارة صورة حركة معقّدة قادرة على التجدّد، لكنّها تحجب

في الوقت ذاته أثر الاستعمار الاستيطاني الإحلالي عبر حصر الصراع داخل "المثلث" الصهيوني: اليهودي-العبري-الإسرائيلي". يربط الخيط بين أضلاع ثلاثة داخلية، بينما يُترك الخارج، الفلسطينيون تحديداً، خارج النسيج.

يستخدم شيلغ أيضاً لفظ "الطلبية" في وصف التيار، التي تُفهم عادةً باعتبارها جماعة تحمل مشروعاً خلاصياً يتقدّم على الآخرين، غير أن هذه البلاغة تخفي دوراً سلطوياً، فالطلبية ليست رأس حربة للتغيير فقط، بل أداة لتبرير الهيمنة، تجعل من الاستيطان فعلاً بطولياً ومن قمع الآخر والتنكيل به جزءاً من "الرسالة التاريخية". ثم تأتي استعارة "النخبة الخادمة" التي تناولناها سابقاً، حيث يستخدمها المؤلف ليصف اندماج الصهيونية الدينية في مؤسسات الدولة وأجهزتها البيروقراطية. البلاغة هنا توجي بالتواضع والتفاني، لكنّها تخفي واقعاً من النفوذ والسيطرة. الخدمة هنا ليست للآخرين، بل آلية لتكريس حضور التيار في أجهزة الجيش والتعليم والإعلام. ولا شك أن هذه اللغة تجعل من السيطرة "تضحية"، ومن الاستحواذ "التزاماً أخلاقياً"، وهو قلب دلالي يُفرغ الهيمنة من معناها السياسي.

النكبة في العام 1948 لا تُقدّم في الكتاب بصفقتها عملية تطهير عرقي وتهجير جماعي، بل "صفقة تأسيسية" ضمنت للدين موطن قدم عبر ترتيبات "الوضع القائم". وحرب العام 1967 لا تُروى بصفقتها احتلالاً لأرض مأهولة، بل "معجزة" أعادت توحيد "أرض إسرائيل" وأطلقت "دينامية خلاصية". واتفاقيات أوسلو في العام 1993 لا تُفهم بصفقتها لحظة إعادة هندسة للفضاء الفلسطيني وانقسامه إلى مناطق A و B و C، بل مجرد "اختبار" للتيار الديني-القومي، واغتيال رابين ليس جزءاً من أزمة بنيوية في الاستعمار، بل "زلزال داخلي" في المجتمع اليهودي. وحتى الانسحاب من غزة في العام 2005 يُقدّم بصفته "جرحاً" لتيار الصهيونية الدينية، لا مسبباً لمأساة إنسانية لمليونَي فلسطيني حوصروا بعد ذلك في قطاع خانق.

في الخاتمة يبرز حديث شيلغ عن الصهيونية الدينية بوصفها "جسراً" يربط بين مكوّنات المجتمع "الإسرائيلي"، الجسر الذي يوجي بالوصل والتقريب، لكنّه يُعرّف أيضاً العلاقة بوصفها بين أطراف يهودية فقط. الفلسطيني لا يرد في هذا المعجم أبداً، وكأن "الجسر" ممتدّ فوق هوة لا قاطنين لها. الاستعارة هنا تعمل بصفقتها آلية محو إضافية، تجعل من الداخل موضوعاً للحوار، وتُقصي الخارج من إمكان العبور أصلاً.

لا فلسطيني

يظهر كتاب يائير شيلغ، رغم حرصه على إبراز تعددية الصهيونية الدينية وتعقيداتها، محصوراً داخل أفق "إسرائيلي"-يهودي مكتفٍ بذاته. الفلسطيني يكاد يغيب، وإذا حضر فبصفته "مشكلة أمنية" أو "شريكاً تفاوضياً" عابراً. هذا الغياب ليس عرضياً، بل هو جزء بنيوي من الخطاب الصهيوني، فالمحو شرط لتمكين السردية من أن تُعيد تعريف نفسها باعتبارها صراعاً داخلياً بين الدين والقومية والليبرالية. لكن هذا الصراع، في الواقع، لا ينفصل عن البنية الاستعمارية التي قامت على اقتلاع الفلسطينيين وتحويل أرضهم إلى "نص مقدّس".

وبذا، يشارك الكتاب في إعادة إنتاج الهيمنة الاستيطانية عبر تحويل لحظات النكبة والاحتلال و"أوسلو" وغزة إلى محطات داخلية في مسيرة "التجدد اليهودي"، فيما يُمحي السياق الاستعماري بكلّيته. القراءة ما بعد الاستعمارية تُعيد الفلسطيني إلى مركز المشهد، باعتباره الفاعل الذي يحاول الخطاب تغييره، وتكشف أن ما يسميه شليغ "توترات داخلية"، إنما هي أشكال إدارة للعنف الاستيطاني وإعادة تدويره.

تكشف قراءة الكتاب عن فجوة بنيوية، فبينما يصور شليغ صعود الصهيونية الدينية بوصفه مساراً طبيعياً لنضج تيّار اجتماعي-سياسي، فإن أثر هذا الصعود على الفلسطينيين يُهمَل تماماً. وفي الواقع، فإن هذا التيار كان في قلب السياسات الأكثر تأثيراً على حياة الفلسطينيين: من الاستيطان المكثّف بعد العام 1967، إلى تقويض اتفاق "أوسلو" وتحويله إلى أداة لإدارة الاحتلال بدل إنهائه، إلى فرض الحصار الخانق على غزة بعد العام 2005 وصولاً إلى الممارسات الإبادة فيها منذ العام 2023.

السياسة ليست شأنًا داخلياً هنا، بل آلية استعمارية منظّمة، والصهيونية الدينية في موقعها الجديد نخبة مؤسسية، أصبحت المحرّك الأساسي لتشريعات وقوانين وسياسات تُعيد إنتاج الإقصاء والسيطرة. إن تجاهل هذا البُعد ليس مجرد نقص معرفي أو أكاديمي، بل تواطؤ معرفي يحوّل معاناة الفلسطينيين إلى فراغ، ويُسقط من الحساب الأثر الكارثي لصعود هذا التيّار على وجودهم وحقوقهم. فالصراع، كما يصوغه النصّ، هو شأن داخلي "إسرائيلي" صرف: تنازع بين الدين والقومية والليبرالية حول تعريف هوية الدولة، فيما يُمحي الأثر الفلسطيني من الصورة، كأنّ الأرض كانت فضاءً خالياً ينتظر أن يُملأ بالمعنى اليهودي-الديني.

إن هذا الإغفال المنهجي ليس مجرد نقص في التفاصيل، بل آلية خطابية لإعادة إنتاج الهيمنة: تحويل العنف المادي إلى حدث خلاص داخلي، وطمس الضحية عبر إعادة تعريفها في لغة الأمن أو الغياب. المثلث الذي يقترحه شليغ لقراءة الصهيونية الدينية (دين/ قومية/ ليبرالية) لا يعمل فقط بوصفه عدسةً وصفية، بل كجهاز معرفي يضبط ما يمكن أن يُقال وما يُستبعد. الفلسطيني مُستبعد من البنية لأنه يذكر بالاستعمار، ولأنّ حضوره يهدّد وهم الصراع الداخلي المكتفي بذاته.

إزاء هذا، لا بدّ من أن نعيد الفلسطيني إلى مركز التحليل، بوصفه الفاعل المسكوت عنه في كل منعطف. فالنكبة لحظة اقتلاع لا "تسوية إدارية"، ونكسة العام 1967 بداية مرحلة جديدة من المشروع الاستيطاني الإحلالي لا "معجزة"، و"أوسلو" هندسة استعمارية لا "امتحاناً"، وغزة تجربة حصار وإبادة لا "جرحاً وجودياً". هكذا ينعكس العنف الاستعماري في الكتاب، لا في ما يقوله بل في ما يسكت عنه فالمحو ذاته خطاب، والتغيب ذاته ممارسة هيمنة.

مرجعية

[1] ألون شيلو، "الخيوط المثلث' ليأثير شيلغ: تحليل ناجح لكنه منقوص قليلاً للصهيونية الدينية"، هارتمان، 14 تموز 2024، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالعبرية).

<https://heb.hartman.org.il/a-reading-of-never-the-three-shall-divide/>.

[2] أوريئيل بن عاي، "مَن يهيمن على القلنسوة؟ عن الصهيونية الدينية في كتاب يائير شيلغ: الخيط المثلث،" ميكرا ريفيفيم (مدونة)، 1 تموز 2024، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالعبرية).

<https://mikrarevivim.blogspot.com/202407//blog-post.html>.

[3] إيلي بيتان، "الصهيونية الدينية تناصب التيار الإسرائيلي السائد العداء حتى بعد أن باتت نخبة،" هآرتس، 27 آب 2024، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالعبرية).

<https://www.haaretz.co.il/opinions/202427-08-/ty-article-opinion/.premium/0000019064-c8-d825-a9f1-6dff9710000>.

[4] تومر فرسيكو، "كتاب 'الخيط المثلث: تاريخ مختصر للصهيونية الدينية' دليل موجز للصهيونية الدينية"، هارتمان، 10 حزيران 2024، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالعبرية).

<https://heb.hartman.org.il/never-the-tree-shall-part-book/>.

[5] شموئيل مونيشتش، "سموترتش لا يمثل مجمل الصهيونية الدينية": حوار مع يائير شيلغ لمناسبة صدور كتابه، "هارتمان"، 7 تموز 2024، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالعبرية).

<https://heb.hartman.org.il/interview-sheleg-book/>.

[6] عيدو فختر، "يائير شيلغ يأخذنا في رحلة إلى المثلث الآخر للصهيونية الدينية،" مكور ويشون، 2 تموز 2024، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالعبرية).

<https://www.makorrishon.co.il/opinion/767434/>.

[7] عيدو فختر، "كتاب 'الخيط المثلث' يدعو الصهيونية الدينية إلى الاعتراف بتعقيداتها،" هارتمان، 1 تموز 2024، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالعبرية).

<https://heb.hartman.org.il/a-tripartite-journey/>.

[8] لي كاهانر، غلعاد ملخ، "التقرير الإحصائي السنوي حول المجتمع الحريدي في إسرائيل - 2024: الملخص التنفيذي،" المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، كانون الثاني 2025، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالإنجليزية).

<https://en.idi.org.il/media/27532/idi-annual-statistical-report-on-haredi-society-2024.pdf>.

[9] معهد سياسات الشعب اليهودي (JPI)، "مؤشر المجتمع الإسرائيلي - تموز 2025،" مركز ديان وغلفورد غليزر للمعلومات والاستشارات، تموز 2025، شوهد في 19 أيلول 2025. (بالإنجليزية).

<https://ippi.org.il/en/topics/israeli-society-index/>

[10] مهند مصطفى، مقابلة مسجلة أجراها وليد حباس، سلسلة الصهيونية الدينية، ثلاثة أجزاء، بودكاست مدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية 31 تموز 2025، شوهدي في أيلول 2025.

<https://www.madarcenter.org/2072-سلسلة-الصهيونية-الدينية-بودكاست/>.

[11] هندية غانم، مقابلة مسجلة أجراها أحمد البيقاوي، بودكاست تقارب، 13 تشرين الأول 2023، شوهدي في أيلول 2025.

<https://www.youtube.com/watch?v=P7wRb2bPUf8>.

[12] يائير شيلغ، الصهيونية الدينية (تل أبيب: كنيرت - زمورا - دفير، 2024). (بالعبرية).

[13] يائير شيلغ (تحرير)، من الهوامش إلى المتن؟ الصهيونية الدينية والمجتمع الإسرائيلي (القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، 2019). (بالعبرية).

[14] يائير شيلغ، "المهمة الثلاثية للصهيونية الدينية"، تراديش أونلاين، 31 كانون الأول 2023، شوهدي في 19 أيلول 2025. (بالإنجليزية).

<https://traditiononline.org/religious-zionisms-triple-mission/>.

[15] يتشحاق بلاو، "Alt+SHIFT: الخيوط المثلث للصهيونية الدينية"، تراديش أونلاين، 30 كانون الأول 2024، شوهدي في 19 أيلول 2025. (بالإنجليزية).

<https://traditiononline.org/altshift-the-triple-thread-of-religious-zionism/>.